ومن بعد المد الجزر
وخير القوم بين الجزار والجزر

بقلم الشيخ الشهيد
صالح عبد السيد، أبي
يحيى الليبي

فسبحان من مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا، وجعل فيها علامات وبالنجم هم يهتدون وأنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا، فأحييت نفوس بعد موت، وأبصرت بعد عمى، واهتدت بعد تيه، واطمأنت بعد حيرة، واستنارت بعد عتمة، وارتوت بعد طول ظمأ حتى قالت:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

ففارقت بذلك ملة القوم ولسان حالها يقول: {قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها... الآية}.

فاحتملت الأمانة.. فكانت بحق خير أمة أخرجت للناس تأتي بهم مقرنين بالسلاسل حتى يدخلوا الإسلام وأدركت قدر الحمل وعظم المحمول.. فهجرت جُنوبُ القوم المضاجعَ.. بظهر كل عري من الخيل وبمقبض كل عديم غمد من السيوف...

في كل فج عزمهم سيار إلى الوغى تهافتوا وطاروا
جماعة ليس لهم ديار إلا ظهور الخيل والغبار

واسترخصت النفوس بالأداء كل متاع، واستعذبت لأجل كل مرير، وركبت لأجله كل صعب وذلول..

وما ملك القلوب متاع دنيا ولا عشق التنعم والحرير

ينام الناس في دعة ولين ونومهم على صم الصخور
وعطر الناس من فل وورد تطيب منه أنسام الأثير
ورائحة الدخان لهم عطور فأطيب بالدخان شذى عطور
وللبارود في الهيجا عبير أرق من النسيم على الزهور

فحمل القوم أرواحهم على أكفهم تستوقفهم أسوار الكافرين فيدعونهم إلى ثلاث خصال؛ الإسلام أو الجزية أو القتال.

ويسألهم رأس القوم: ما الذي أولعكم بغزونا في ديارنا.. فيقولون كنا كذا وكذا حتى بعث الله فينا رسوله وأمِرنا على لسانه بقتالكم وأخبرنا ربنا على لسان نبينا: (أن من مات منا سار إلى الجنة لا يعلم ما فيها من النعيم قط إلا الله، ومن عاش منا ملك رقابكم)، فتذل أعناق القوم.. إما لله ابتداءا فترضى به ربا.. وإما بأيد عباده، فإما إلى صغار وجزية.. وإما إلى رق بعد أسر..

كنا نرى الأصنام من ذهب فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا
لو كان غير المسلمين لحازها ذهبا وصاغ الحلي والدينارا

ولسان حالهم يقول: لا يدخل بيت مال المسلمين شيء عُبد من دون الله ولو كان ذهبا..

وأيقن الكفار أن هؤلاء لا طاقة لأحد بهم، وأنهم قدر الله الذي لا يرد، حتى قال رأسهم عندما سمع خبرهم: إن كان ما تقول حقا سيملكون موضع قدمي هاتين..

وامتدت الفتوحات مع مد الأرض.. حتى لم يجد السحاب غير بيت مال المسلمين موطنا يمطر فيه، فلم يعرف السحاب لغير المسلمين أرضا.. ولا عرف أهل الأرض لغير المسلمين ذلك..

كأنهم فوق ظهور الخيل نبت ربي من شدة الحزم لا من كثرة الحُزم
طارت قلوب العدا من خوفهم فرقا فلم تفرق بين البَهم والبُهم

حتى غدت ملة الإسلام وهي لهم من بعد غربتها موصولة الرحم

ومع مرور القرون، ورث الأحفاد أمجاد أجدادهم، فرسٌ عُري ومجرب في الحرب، وسيف لا غمد له ولا عيب إلا قطعه الأعضاء، ورقعة بها وصية بالأداء {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها... الآية}.. وأخرى بالوفاء {وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها... الآية}.

وهنالك توقف المد.. ليبدأ التاريخ مرحلة جديدة وهي مرحلة الجزر..

أجدادنا كتبوا مآثر عزها فمحا مآثر عزها الأحفاد

فإذا بقوم غير الذي عهدت.. إنهم خلفٌ أضاعوا الصلاة وأتبعوا الشهوات إلا من رحم ربي وقليل ما هم..

وقُدمت خيول الأجداد لتباع بثمن بخس، وعيبها أنها لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث، وأشربت قلوب القوم حب عجل ذلول..

واتفقوا بعد تجربة على جودة المحراث المصنوع من سيوف الأجداد.. وتسائل القوم: أما كان أجدادنا يسرجون خيولهم ! فلعل السروج تصلح سككا للمحاريث..

ووجد القوم أرضا خصبة فرضوا بالجزر، لأن عدم الرضى بالجزر اختيار ضمني للجزّار.. فآثر القوم مشاتل الجزر على مسالخ الجزار.. وتسميد جذوع النخل.. على الصلب فيها..

وثمن هذا الاختيار عندهم زهيد.. فقط؛ نكث عهد.. وخيانة أمانة!

من لي بجيل مستجد لم يرث إلا عن الجد القديم الأبعد

إن قام يثبت حقه فدليله صوت المدافع أو صليل مهند

لا خير في قول يقال ومنطق عذب بحد السيف غير مؤيد

عن مجلة الفجر

منبر التوحيد والجهاد

* * *

sw.dehwat.www//:ptth
moc.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

موقعنا على الشبكة

sw.dehwat.www//:ptth
moc.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

منبر التوحيد والجهاد

sw.dehwat.www
moc.esedqamla.www
ofni.hannusla.www
moc.adataq-uba.www